

تفسير ابن كثير

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

وقال الربيع بن أنس : كان موتهم عقوبة لهم ، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم .
وكذا قال قتادة . وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن
محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ،
وقال لأخيه وللسامري ما قال ، وحرق العجل وذراه في اليم ، اختار موسى منهم سبعين
رجلا الخير فالخير ، وقال : انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله مما صنعتم وسلوه التوبة على من
تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء
لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون - فيما ذكر لي -
حين صنعوا ما أمروا به وخرجوا للقاء الله ، قالوا : يا موسى ، اطلب لنا إلى ربك نسمع
كلام ربنا ، فقال : أفعل . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل
كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وقع على
جبهته نور ساطع ، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ،

ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه :

افعل ولا تفعل . فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم ، فقالوا

لموسى : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فأخذتهم الرجفة ، وهي الصاعقة ،

فماتوا جميعا . وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ، ويقول : (رب لو شئت

أهلكتهم من قبل [وإياي]) [الأعراف : 155] قد سفهوا ، أفتهلك من ورائي من بني

إسرائيل بما يفعل السفهاء منا ؟ أي : إن هذا لهم هلاك . اخترت منهم سبعين رجلا

الخير فالخير ، أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد! فما الذي يصدقوني به ويأمنوني

عليه بعد هذا ؟ (إنا هدنا إليك) [الأعراف : 156] فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل

، ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ،

فقال : لا ؛ إلا أن يقتلوا أنفسهم . هذا سياق محمد بن إسحاق . وقال إسماعيل بن عبد

الرحمن السدي الكبير : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب الله عليهم بقتل

بعضهم بعضا كما أمرهم به ، أمر الله موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل ،

يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موسى ، فاختر موسى قومه سبعين رجلا على

عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا . وساق البقية . [وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى
بني إسرائيل في قوله : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) والمراد
السبعون المختارون منهم ، ولم يحك كثير من المفسرين سواه ، وقد أغرب فخر الدين
الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين : أنهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى ،
إنك لا تطلب من الله شيئاً إلا أعطاك ، فادعه أن يجعلنا أنبياء ، فدعا بذلك فأجاب الله
دعوته ، وهذا غريب جدا ، إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون
، وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا الله عز وجل ، فإن موسى
الكليم ، عليه السلام ، قد سأل ذلك فمنع منه فكيف يناله هؤلاء السبعون ؟ القول الثاني
في الآية [قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية : قال لهم موسى - لما
رجع من عند ربه بالألواح ، قد كتب فيها التوراة ، فوجدهم يعبدون العجل ، فأمرهم
بقتل أنفسهم ، ففعلوا ، فتاب الله عليهم ، فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب الله ، فيه
أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه . فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا
والله حتى نرى الله جهرة ، حتىطلع الله علينا فيقول : هذا كتابي فخذوه ، فما له لا

يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى ! وقرأ قول الله : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)

قال : فجاءت غضبة من الله ، فجاءتهم صاعقة بعد التوبة ، فصعقتهم فماتوا أجمعون . قال

: ثم أحياهم الله من بعد موتهم ، وقرأ قول الله : (ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون) فقال لهم موسى : خذوا كتاب الله . فقالوا : لا فقال : أي شيء أصابكم ؟

فقالوا : أصابنا أنا متنا ثم حيينا . قال : خذوا كتاب الله . قالوا : لا . فبعث الله ملائكة

فنتقت الجبل فوقهم . [وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا . وقد حكى

الماوردي في ذلك قولين : أحدهما : أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة حتى

صاروا مضطرين إلى التصديق ؛ والثاني : أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف ، قال

القرطبي : وهذا هو الصحيح لأن معاينتهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم ؛ لأن بني

إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات ، وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح

، والله أعلم] .